آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة

السنة الثامنة : العدد الثاني والثلاثون - شوال ١٤٢١ هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠١ م

الغلاف

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. نجيب عبد الوهاب

سكرتير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

هيئة التحرير

د. نور الدين صغيري
د. محمد أحمد القرشي
أ. عبد القادر أحمد عبد القادر

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٣٠ درهماً
الأفراد	٦٠ درهماً	٧٥ درهماً
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه
يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

مطبعة دبي
DUBAI PRINTING PRESS

الفهــــرس

افتتاحية العدد

- التراث العلمي العربي الإسلامي بين جهل أبنائه وجحود أعدائه ٤

سكرتير التحرير

المقالات

- التراث الفقهي بين الثبات والتطور. ٦

أ. محمد دباغ

- تعليقات نقدية على آراء البارون ألفرد ڤون كريمر حول نشأة الفقه الإسلامي وتطوّره. ١٤

أ. الصديق بشير بن نصر

- وظائف التاريخ: منظورات فلسفية في التطوّر. ٣٠

أ. د. محمد الدعمي

- حوار في التراث العربي. ٤٢

أ. د. عباس مصطفى الصالحي

- مفهوم الشعر عند لسان الدين بن الخطيب. ٦٠

أ. سليمان القرشي

- منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة. ٧٢

د. الزواوي بغورة

- في نقد الاصطلاح البلاغي: التعليل وحسن التعليل: مصطلحان أم مصطلح واحد؟؟ ٨٨

أ. محمد إقبال عروي

- التراث اللغوي المغربي: أحمد بن المأمون البلغيثي نموذجًا. ٩٤

د. عبد الرحيم أخ العرب

- قصور صنعاء القديمة ماضٍ بائد أم حاضر واعد. ١٠٥

المهندس أيمن محمود عبدالله

- تحقيق المخطوطات والعمل الببليوغرافي. ١١٨

د. محمد عبود حسن الزبيدي

المقالات العلمية

- آفاق تراثية في الغذاء والدواء. ١٢٩

أ. سليمى محجوب

- العلاج الجراحي للأورام: السرطان في الطب العربي الإسلامي. ١٤٠

د. محمود الحاج قاسم محمد

- صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية. ١٤٧

د. علي جمعان الشكيل

- قلع الأسنان في التراث الطبي العربي. ١٥٥

د. محمد فؤاد الذاكري

التعريف بالمخطوطات

- مخطوطات نادرة: قطر السّيل في أمر الخيل. لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (المتوفى سنة ٨٠٥هـ). ١٦٣

أ. د. حاتم صالح الضامن

تعليقات

- تعليق على بحث: نحو تأسيس نظرية تلقٍّ قرآنية. ١٧٣

د. غازي مختار طليمات

منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة

الدكتور/ الزواوي بغورة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم الفلسفة
جامعة منتوري - قسنطينة

فلسفة اللغة مبحثٌ فلسفيٌ جديد، يهتمّ باللغة من منظورٍ فلسفي، ويعتمد على مناهج لغوية فلسفية أساسيّة ؛ كالتحليل المنطقي، والألسني، والتأويلي. يعني هذا أنّ مفهوم فلسفة اللغة يتكوّن من التطورات المختلفة التي عرفها الفكر الفلسفي المعاصر، والمتمثّل بشكلٍ خاصّ في التطورات الحاصلة في مجال المنطق الرمزي والتأويل، أو فلسفة التأويل والألسنية، أو علم اللغة الحديث. ويعدّ التحليل الخطابي جزءًا أساسيًا من مجال البحث الفلسفي الجديد المسمّى بفلسفة اللغة. فماذا يُقصد بالخطاب والتحليل الخطابي؟ وما علاقاته بالاتجاهات الكبرى في فلسفة اللغة؟(١).

يثير مفهوم الخطاب في الألسنية، أو علم اللغة الحديث، الكثيرَ من اللبسِ، فهو يحتلّ مكانةً خارج الثنائيات المعروفة في الألسنية مثل اللغة والكلام، والدال والمدلول، والتزامن والتعاقب، والنظام والعملية، والكفاءة والقدرة، والبنية السطحية والبنية العميقة...إلخ، والألسنيون الأوائل، أمثال «دي سوسير 1857 - 1913 F. De Saussure» و«هلمسلف 1899 - 1965 L. Hjemslew» و«جاكبسون 1896 - ...R. Jakobson» وغيرهم، لم يناقشوا موضوع الخطاب. وإنّما كان «بيسنس Buyssens» سنة ١٩٤٣ أوّل من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية عندما دعا إلى ضرورة تأسيس ألسنيّة خطابية، التي أصبحت اليوم فرعًا أساسيًا في التداولية «Pragmatique». ولكنّ النقلة الألسنية الكبيرة لمسائل الخطاب تمّت على يد «بنفنست 1902 - 1976 E. Benveniste» الذي تجاوز الإطار الشكلي للألسنية البنيوية، وذلك عندما طرح مسائل الوظيفة ودور الفاعل المتكلّم في العملية المنطوقية، وخلص إلى القول إنّ الكلمة تشكّل نقطة فصلٍ في نظامي اللغة: الشكليّ القائم على العلامة والوحدة، والنظام التواصلي أو الخطابي القائم بين الوحدة والخطاب، وإنهما يشكّلان معًا نظام الدلالة في اللغة.

وهنالك توجّه كامل في فرنسا في الوقت الحاضر يسمى بتحليل الخطاب، ويظهر في أشكال مختلفة، يمكن تصنيفها في أربع منظوماتٍ كبرى هي: المنظومة المنطوقية «Enonciatif»، والمنظومة الحجاجية «Argumentatif»، والمنظومة السردية «Narratif»، والمنظومة الخطابية «Rhéthorique»(٢).

ولقد ارتبطت الأعمال الأولى للبنيويين الفرنسيين بهذه الأشكال المختلفة من تحليل الخطاب، سواء ما تعلّق بأعمال «كلود ليفي ستروس C. Lévy - Strauss... - 1908» أو «رولان بارت R. Barthes 1915 - 1980» أو «جاك لكان J. Lacan 1980 - 1901»، أو «ميشيل فوكو Michell Foucaulht 1984 - 1926» في أعماله الفلسفية والتاريخية، التي سنحاول تحليلها في هذه الدراسة، قصد الإجابة عن تلك الأسئلة التي طرحناها في المقدمة(٣).

أولا - ميشيل فوكو وتحليل الخطاب

من المعلوم أنّ الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو قد قدّم جملةً من الأعمال التاريخية والفلسفية، التي تنتمي إلى علم النفس والتحليل النفسي من خلال طرحه لمشكلة الجنون، وموضوعات تنتمي إلى الطب والطب التشريحي والعيادي من خلال تحليله لمشكلة المرض، ودراسات تنتمي إلى العلوم الإنسانية كالاقتصاد والبيولوجيا واللغة، وذلك من خلال طرحه لمشكلة الإنسان، وبتعبيرٍ آخر قدّم جملةً من الأعمال التي تنتمي إلى دائرة تاريخ العلوم بالمعنى الواسع للكلمة.

فلقد كتب في «تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي «Histoire de la folie à l'age classique» الذي صدر سنة ١٩٦١ عن تجربة فريدة في تاريخ الثقافة الغربية، هي تجربة الجنون من خلال مراحلها الكبرى المتمثلة في عصر النهضة والعصر الكلاسيكي والعصر الحديث، وناقش فيها مسائل الطب والطب النفسي والفلسفة والأدب والمؤسسات العلاجية كالمعزل والمستشفى وموقفها من الجنون، محاولاً بذلك رسم لوحةٍ عن العقل الغربي وسلطته وحدوده وكيفية تعامله مع الآخر من خلال الموقف من الجنون.

كما تحدّث عن المرض والمريض في (مولد العيادة Naissance de la clinique) الصادر سنة ١٩٦٣م وعن المراحل المشكّلة لها كمرحلة التصنيف والتشريح، التي كان عليها أن تؤسّس خطابًا علميًّا يمرّ حتمًا بلحظة الموت كي يصبح علميًّا، ذلك أنّ الإنسان الغربي في نظر فوكو لم يصبح موضوع علم إلاّ بعد انفتاحه على واقعة فنائه الخاص، وهكذا نشأت عن تجربة الجنون النظريات السيكولوجية المختلفة، كما تولد عن تفسير الموت من خلال الطب التشريحي والطب الحديث النظريات الطبية المختلفة حول الإنسان، وسيكون هذا بداية ومقدمة لدراسة الإنسان الغربي من خلال الاقتصاد والبيولوجيا واللسانيات، وهي المجالات التي سمحت بظهور العلوم الإنسانية التي درسها في كتابه المشهور الذي صدر سنة ١٩٦٦م بعنوان (الكلمات والأشياء: اركيولوجيا العلوم الإنسانية (Les Mots et les Choses, une archéologie des sciences des humaines

وعلى أساس هذه الدراسات، أو الممارسات الخطابية بلغة الفيلسوف، حاول ميشيل فوكو أن ينظر لمسائل تحليل الخطاب من خلال مساءلة التيارات الكبرى المشكلة لما نسمّيه اليوم بفلسفة اللغة، وهي التحليل المنطقي والتحليل الألسني والتأويل أو «فلسفة التأويل Hermineutique»، وشكّلت الدراسات التي نشرها بين سنوات ١٩٦٩ – ١٩٧٦ مثالاً للتنظير المنهجي للخطاب من حيث تماثلها مع أعمال «فيدجنشتين Wittgenstein 1889 - 1915» و«استن J. Austin 1960 - 1911» و«غدمار G. Gadamer - 1900» و«بول ريكور P. Ricoeur - 1913» وغيرها... يدل على ذلك بوجهٍ خاصّ دراساته الآتية «اركيولوجية المعرفة L'Archéologie 1969 du Savoir» و«نظام الخطاب L'Ordre du discours 1971» و«إرادة المعرفة

«La Volonté du Savoir» والعديد من الدراسات والمقابلات التي خصّها لهذا الموضوع. فما وجهة نظره في الخطاب والتحليل الخطابي وما علاقته بالاتجاهات الكبرى اللغوية والمنطقية والتأويلية؟

ثانيًا - في مفهوم الخطاب

يتكوّن الخطاب، في نظر ميشيل فوكو، من مجموعةٍ من المنطوقات أو الملفوظات «Enoncés» التي تكون بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية «Formations Discursives» فماذا يقصد بالمنطوق وبالتشكيلة الخطابية؟

١ - **المنطوق** : المنطوق ذرة الخطاب ووحدته الأولى وعنصره الأخير. يتماثل مع الجملة والقضية والفعل اللساني، ويختلف عنها في الوقت نفسه. يقول ميشيل فوكو: «فقد استخدمت في مناسباتٍ عديدة لفظ منطوق، إمّا لأشير إلى عددٍ من المنطوقات... وإمّا لأميّزه عن تلك المجموعات التي أسميها الخطابات [مثل ما يتجزأ الجزء عن الكل]، ويبدو المنطوق أوّل وهلة كعنصرٍ أخير، أو جزءٍ لا يتجزأ، قابل لأن يستقل بذاته، ويقيم علاقاتٍ مع عناصر أخرى مشابهة له... المنطوق أبسط جزءٍ في الخطاب»(٤). وعليه يختلف الخطاب عن اللغة والقضية، كما يختلف التحليل الخطابي عن التحليل الألسني أو المنطقي، سواء من حيث المرجعية أو المنهج.

فمن حيث المرجعية، لا يستند الخطاب على الذات، ولا على المؤسسة، ولا على الصدق المنطقي، أو البناء النحوي، وإنّما يستند على الممارسة الخطابية وغير الخطابية، وأمّا من حيث المنهج، فإنّه يعتمد على الوصف، وصف المنطوق وصفًا قبليًّا وتاريخيًّا وفي وظائفه المختلفة التي يقوم بها في حقبةٍ تاريخيّة معيّنة، وضمن التشكيلة الخطابيّة التي ينتمي إليها؛ لذا يجب أن يتجسّد كل وصفٍ للخطاب في عنصرٍ مادي هو (الأرشيف).

ويفترض هذا الوصف ضرورة الإلغاء المنهجي للوحدات الجاهزة التي ألف تاريخ الفكر البشري استعمالها، من مثل وحدة الكتاب، أو العمل الأدبي، أو الفرع العلمي، والنظر إلى المنطوق بصفته حدثًا منفصلاً ومتميّزًا وقابلاً للتذكّر والتكرار وخاضعًا لأشكال التدوين والممارسات الخطابية وغير الخطابية(٥)، ويتجسّد في وحدةٍ جديدة سمّاها الفيلسوف بالتشكيلة الخطابية، فماذا يقصد بها؟

٢ - **التشكيلة الخطابية** : يقول ميشيل فوكو: «التشكيلة الخطابية... بالمعنى الدقيق، مجموعة من المنطوقات... ترتبط فيما بينها على مستوى المنطوقات»(٦). التشكيلة الخطابية تتماثل إذًا مع الخطاب من حيث التكوّن، فكلاهما يتشكّلان من منطوقات، مع فارقٍ أساسيّ، أنّ التشكيلات الخطابية لا تتكوّن من منطوقاتٍ فردية فقط، بل من مجموعاتٍ منطوقية «فالتشكيلة الخطابية هي المنظومة المنطوقية العامة التي تحكم مجموع الإنجازات اللفظية»(٧). كما أنّ استنباط التشكيلة الخطابية أو تحليلها، التي تكوّن تلك المنطوقات والمناهج التي تسمح بانتظامها)(٨). وهكذا نرى أنّ التشكيلة الخطابية تتماثل ومفهوم آخر هو ميدان الخطاب الذي يجمع منطوقاتٍ عديدة في مدّة تاريخية معيّنة، يتم وصفهما وصفًا أركيولوجيًّا. وعليه نستطيع القول إنّ:

أ - المنطوق والتشكيلة الخطابية يخضعان لمنهجٍ واحد في التحليل، هو المنهج الوصفي الأركيولوجي.

ب - ما دام المنطوق ينتمي إلى التشكيلة الخطابية

لذلك تنطبق القواعد والقوانين الناظمة للتشكيلة الخطابية على المنطوق أيضًا.

ج – الخطاب ليس أكثر من مجموعةٍ من المنطوقات، تنتمي إلى تشكيلة خطابية فهو، إذًا: «عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها»(٩).

د – النتيجة الأساسية التي يصل إليها فوكو أنّ الخطاب محكومٌ بالممارسة الخطابية وغير الخطابية، وبتعبيرٍ آخر، أن المعيار الذي يستند إليه الخطاب في التحليل هو الممارسة الخطابية وغير الخطابية.

ثانيًا - مفهوم الممارسة الخطابية وغير الخطابية:

تلعب الممارسة الخطابية وغير الخطابية دور المعيار بالنسبة للخطاب وتحليله، والمقصود بالممارسة الخطابية هو: «مجموعة من القواعد الموضوعية والتاريخية المعيّنة والمحدّدة دومًا في الزمان والمكان، والتي حددت في مدّة زمنية بعينها، وفي نطاقٍ اجتماعي واقتصادي وجغرافي أو لساني معطى شروط ممارسة الوظيفة المنطوقية»(١٠).

يرى «دومينيك لكور D. Lecourt» أنّ مفهوم الممارسة من المفاهيم الأساسية في تحليلات ميشيل فوكو، ونقطة فاصلة في علاقته بالبنيوية والتحليلات اللغوية، وذلك لأنّ ما يعنيه فوكو بالممارسة ليس نشاط الذات، بل الوجود الموضوعي والمادي لبعض القواعد، التي تتحكّم في الذات عندما ترتبط بالخطاب. وتتحدّد الممارسة الخطابية بثلاث صفاتٍ هي:

أ – لا تحيل الممارسة الخطابية إلى الذات، ولا إلى العملية اللغوية أو التعبيرية، ولا إلى المقدرة الشخصية.

ب – الممارسة الخطابية محكومة بقواعد موضوعية وتاريخية معيّنة ومحدّدة في زمانٍ معيّن ومكانٍ معيّن.

ج – هذه القواعد هي التي تحدّد الوظيفة المنطوقية أو الخطابية، وعليه تتعلّق الممارسة الخطابية بالخطاب ووظيفته، على عكس الممارسات غير الخطابية Pratique Non-Discursive، التي تتعلّق بالمؤسسات والحياة الاجتماعية والاقتصادية، أو كما يقول إنّ الممارسة الخطابية تُعنى بالخطاب ووظيفته، أمّا الممارسات غير الخطابية فتعنى بعلاقات الخطاب بالنواحي المادية وهي: «حقل مؤسّساتي، ومجموع أحداث وممارسات وقرارات سياسية، وتسلسل سياقات اقتصادية...»(١١).

وعلى هذا الأساس من التمييز بين الممارسة الخطابية وغير الخطابية لا يمكن تصنيف فوكو ضمن المنظور البنيوي للخطاب ما دام يفرّق بين ممارسات خطابية تهتم بوظيفة الخطاب وممارسات غير خطابية تهتم بعلاقة الخطاب بالحياة المادية للمجتمع. وإذا كان ميشيل فوكو لا يقيم العلاقة بين الممارسات الخطابية وغير الخطابية على أساس السبب والنتيجة فإنّه يرى في الوقت ذاته أنّ المنهج الأركيولوجي يصف أشكال ظهور الخطاب وانبثاقه، وكذلك علاقاته المختلفة التي تتكوّن من علاقاتٍ أوليّة، يمكن وصفها داخل المؤسسات والتقنيات والمؤسسات الاجتماعية وغيرها، وعلاقات خطابية لا توجد داخل الخطاب، بما أنّها لا ترتبط بالألفاظ ولا بالجمل ولا بالقضايا، كما أنّها ليست خارج الخطاب، بما أنه ينكر فكرة السببية والأسبقية، وإنّما توجد: «إذا صحّ القول عند حدود الخطاب: فهي التي تمنحه الموضوعات التي يتحدّث عنها... فالعلاقات الخطابية لا تميّز اللغة التي

يستخدمها الخطاب، ولا تميّز الظروف التي ينتشر فيها كخطاب، بل تميّز الخطاب ذاته من حيث هو ممارسة»[١٢]. من هنا نفهم نعت «دريفوس H. Dreyfus» و«رابينوف P. Rabinow» ووصفهما لمنهجية فوكو، في كتابهما (ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية) بأنّها منهجية وصف الأشكال التاريخية المختلفة للممارسات الخطابية. ومن هنا نفهم أيضًا التسمية المقترحة من طرفهما، وهي نظرية الممارسة الخطابية وليس نظرية الخطاب، ما دام فوكو يصف أشكالاً مختلفة من الممارسات الخطابية وغير الخطابية كالممارسات المعرفية والممارسات السلطوية، ويدخل الخطاب في علاقة مع الممارسات غير الخطابية والاستراتيجيات المختلفة التي تربط الخطاب بالتشكيلة الخطابية.

يعرّف فوكو الاستراتيجية بقوله: «يكون باستطاعتنا إظهار تشكيلة خطابية ما، في فرديتها وخصوصيتها إذا تمكنّا من تحديد منظومةٍ تكوّن الاستراتيجيات المختلفة الموجودة بها، بعبارةٍ أفضل، إذا كان بمقدورنا إبراز الاستراتيجيات... عن مجموعة ثابتة من العلاقات[١٣]. كما يحدّد علاقة الخطاب بالاستراتيجية بقوله: «وتلزم الإشارة إلى أنّ الاستراتيجيات موصوفة على هذا النحو، لا تجد موقعها الأصلي بعيدًا عن الخطاب في الغور الأبكم والصامت؛ لاختيار أوّلي وأساسي في الوقت نفسه»[١٤]. ومن خلال النصّين نتوقّف عند دلالة الاستراتيجية وأهميتها في تحليل الخطاب وارتباطه بما يسميه فوكو بالاختيارات النظرية، وهي: «أساليب مسطرة... للشروع في توظيف إمكانات الخطاب واستثمارها»[١٥]. إنّ هذا التوظيف أو الاستثمار لا يكون خارج إرادة المعرفة والسلطة، وهو ما يربط تحليل الخطاب بالممارسات غير الخطابية، التي سيتوسع في دراستها في أعماله الخاصّة بالسلطة والجنس، وبخاصّةٍ في «المراقبة والمعاقبة Surveiller et Punir 1975» وإرادة المعرفة و«الاهتمام بالذات Le Souci de Soi 1984» و«استعمال الملذات Usage des plaisires 1984»، وكذلك بعد إضافته للمنهج الجينيالوجي أو النسابي. ولتعيين المنهجين الأركيولوجي والجينيالوجي وتوضيحهما، يتطلب الأمر الوقوف عند بعض خصائصهما العامّة.

ثالثا - في مجال تحليل الخطاب

صرّح ميشيل فوكو لمجلة «Magazine Littéraire» في العدد ٢٨ لشهري أبريل - ماي ١٩٦٩: «لقد استعملت هذا اللفظ - يقصد الاركيولوجية - للدلالة على وصف الوثيقة [الأرشيف]، ولم أقصد به مطلقًا اكتشاف بداية أو الكشف عن عظامٍ رميمة»[١٦].

إنّ هذا التصريح يتضمن عنصرين أساسيين هما: الوصف كطريقة، والأرشيف كموضوع، وهذا ما نجده في كتابه (أركيولوجية المعرفة)، مع تحديدٍ لمضمون الطريقة والهدف والوصف، يقول: «بإمكاننا بالاستناد إلى قانون الألفاظ... أن نطلق على تلك الأبحاث اسم «أركيولوجية»، وهو لفظٌ لا يتضمن أيَّ محاولة للجري واللهث وراء البدايات، كما لا يقترن التحليل بأيّ تنقيبٍ أو سبرٍ جيولوجي، بل يدلُّ على الفكرة الأساسية والمحورية العامة لوصف هدفه استنطاق (الما قبل) في مستوى وجوده وفي مستوى الوظيفة المنطوقية التي تمارس عليه، والتشكيلة الخطابية التي ينتسب إليها... فالأركيولوجية تصف الخطابات كممارساتٍ محدّدة في عنصر الأرشيف»[١٧].

يتضح من هذا التعريف أنّ موضوع المنهج الأركيولوجي ليس اللغة، وإنّما الأرشيف أو الوجود المتراكم للخطابات من حيث وظيفتها، وشروط

ظهورها، وتشكّلها، وتحوّلها، وانبثاقها، أو تلاشيها وضياعها، يعني هذا أنَّ المجال الأساسي للتحليل الأركيولوجي هو التاريخ مع تأكيد خصوصية التاريخ عند فوكو، وهي خصوصية متصلة بالجينيالوجية التي سنبين بعض ملامحها لاحقًا؛ لأنّنا نريد الآن أن نبيّن بعض مبادىء الوصف الأركيولوجي التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أ - **اتخاذ بعض القرارات** Décisions: يتطلب الوصف أخذ بعض القرارات الحاسمة قصد التمييز والانتقاء، وذلك من خلال تعيين حدود التقرير وأشكاله، وذلك بمعرفة ما يمكن الكلام فيه، وما المنطوقات الموجّهة نحو الاختفاء، التي يجب الاحتفاظ بها وتثبيتها في ذاكرة الإنسان بوساطة الطرق البيداغوجية التعليمية المختلفة، وما المنطوقات الممنوعة من التداول والتنشيط والتملّك؛ إذ إنه من بين خطابات الحقب التاريخية المختلفة والثقافات المغايرة أو الأجنبية نتساءل عمّا هي الخطابات أو المنطوقات التي نحتفظ بها ونقيمها ونحاول إعادة تأسيسها وتكوينها، وكيف نطوّرها ونحوّلها بالاعتماد على التعليق والتفسير والتحليل، وما الدور الذي نمنحه لهذه المنطوقات، كما يجب التساؤل عن الأفراد أو الجماعات أو الطبقات التي تنظّم إلى خطابٍ ما؟ وكيف تتحدّد الطبيعة القانونية بين الخطاب ومن يمتلكه؟ كيف تتحدّد العلاقة بين الخطاب والمؤلف؟ وكيف تحدث الصراعات بين الطبقات والأمم والجماعات اللسانية والعرقية من أجل امتلاك الخطاب[١٨]. مع ضرورة الاعتماد على بعض المبادىء من مثل:

ب - **الندرة** Rareté: إذا كانت النصوص تدّعي الوفرة والامتلاء، بسبب وفرة المدلول وكثافته بالنسبة للدال، فإنَّ تحليل الخطاب يسعى إلى سنّ قانون الندرة، الذي يتخذ عدّة أوجه، منها أنَّ الكلَّ لا يُقالُ أبدًا، ومنها أنَّ العبارات تدرس في الحدّ الذي يفصلها عمّا لم يُقل.

ج - **التراكم** Accumulation: المقصود به رصد الأشكال النوعية للتراكم، على أساس أنَّ المنطوقات هي الأثر المستمر والذي يبقى ويتخلّف بعد زوال باعثه وسببه. وبما أنَّ التراكم يتضمن بوجهٍ من الوجوه المحافظة لا تعني هذه المحافظة الذاكرة أو الذات، بل قواعد ماديّة كالكتاب وبعض المؤسّسات كالمكتبة وبعض الصيغ القانونية المنظمة لأرشيف.

د - **القبلي التاريخي** A priori Historique: على عكس القبلي المتعالي الذي نجده عند كانط، يرى ميشيل فوكو أنَّ القبلي التاريخي ليس شرطًا لصحة الأحكام بل دليلاً على وجود المنطوقات، يقول: «فلا يعنيني في شيءٍ أن اكتشف ما يجعل من خطابٍ ما خطابًا صحيحًا أو ما يسمح بإمكانه، بقدر ما يعنيني إبراز شروط انبثاق المنطوقات وقانون وجودها والشكل النوعي لنمط وجودها والمبادىء التي تستمر وفقها في البقاء»[١٩].

إنَّ القبلي التاريخي هو البحث في الأسباب التاريخية لظهور المنطوقات والخطابات، ولا علاقة له بالطرح المنطقي أو الألسني؛ لذا يتميّز التحليل الخطابي، وإنْ كان يستند على بعض المعطيات الألسنية والمنطقية عنهما من حيث إنّه تحليلٌ تاريخيّ بالدرجة الأولى، على الرغم من الاعتراضات العديدة على مفهوم التاريخ عند فوكو وعلى أعماله التاريخية من طرف النُقّاد والمؤرخين والألسنيين وغيرهم؛ لأنَّ مفهومه مرتبط، كما قلنا سابقًا، بالجينيالوجية، وهو ما يحتاج إلى توضيحٍ وتحليل.

أدخل فوكو تعديلاً منهجياً على أبحاثه في مطلع السبعينات، وهذا راجعٌ لعاملين أساسيين هما: عاملٌ علمي يتعلّق بجملة المشكلات العلمية، التي لم تستطع الأركيولوجية حلّها وبخاصّةٍ مشكلة المعنى والدلالة، وعامل تاريخي يتعلّق بأحداث ١٩٦٨ التي عرفتها فرنسا بشكلٍ خاصّ وما حملته من قضايا ومسائل، وبخاصّةٍ قضية السلطة بجميع أشكالها، التي عجزت الأركيولوجية على حلّها، وذلك بسبب انحصارها في عملية الوصف المحض للخطابات كأحداثٍ تاريخية، وهذا العجز أو القصور هو ما حاولت الجينيالوجية تجاوزه، وهو ما عبّر عنه ميشيل فوكو في درسه الافتتاحي بـ «الكوليج دي فرانس College de France» في ٢ ديسمبر ١٩٧٠م قائلاً: «على هذا النحو يجب أن ينشأ بين الوصف النقدي والوصف الجينيالوجي نوعٌ من التناوب والتآزر والتكامل. إنّ الجانب النقدي من التحليل يهتم بمنظوماتِ تغليف الخطاب وتلفيفه، كما يحاول أن يضع يده على مبادىء الترتيب والتطفيف المتصلة به، ولنقل من باب التلاعب بالكلام إنّه يطبق وقاحةً مطبقة في حين أنّ الجانب الجينيالوجي من التحليل يهتم بسلاسل الصياغة الفعلية للخطاب: إنّه يحاول وضع اليد على سلطة الإثبات، وأنا لا أعني بسلطة الإثبات تلك السلطة التي تتعارض مع سلطة الأفكار، بل أقصد سلطة إنشاء ميادين من الموضوعات، يمكن بصددها أن نثبت قضايا صادقة وأخرى كاذبة أو ننفيها»[٢٠]. إنّ تحليل هذا التصريح يفترض العودة إلى نيتشه وعلاقة فوكو به، لكنّ هذه المسألة يصعب تحليلها بشكلٍ كافٍ في هذه الدراسة، ولذلك نفضّل القول إنّ فوكو يحدّد علاقته بنيتشه بقوله: «إنّي نيتشوي محض»[٢١] ولذا يرى استنادًا إلى نيتشه أنّ الجينيالوجية تعلّمنا الاستخفاف بالحفاوة التي يحظى بها الأصل، فالأصل الأسمى فائض ميتافيزيقي، وبدل البحث في الأصل تعمل الجينيالوجية على تعيين البدايات: «لن تتأتّى لنا إذًا جينيالوجية القيم والأخلاق والزهد والمعرفة عن طريق البحث في الأصل والإهمال لكلّ مراحل التاريخ، بل من باب الوقوف الطويل والمتأنّي عند البدايات، البدايات بكلّ تفاصيلها واتفاقاتها والاهتمام الدقيق بقبحها وسخفها وانتظار بزوغ طلعتها من غير أقنعة وبوجهٍ آخر»[٢٢].

البحث في البدايات: البدايات التي لا تدخل تحت الحصر هي البحث التاريخي المناهض لتاريخ المؤرخين والفلاسفة ولكلّ أشكال التاريخ الكلّي، ويتميّز هذا التاريخ الجينيالوجي بكونه لا يستند إلى أيّ ثابتٍ من الثوابت، لذلك فهو يقحم الانفصال وينفي الاتصال، يفتّت الهوية ويفكّكها. وفي نظر فوكو الباحث الجينيالوجي باحثٌ مشخّص وفاحص لمجالاتٍ ثلاثة هي المعرفة والسلطة والذات، هذا الفحص يقوم على مبادىء أساسية منها:

أ – تتنافى الجينيالوجية والطريقة التاريخية التقليدية.

ب – لا تبحث الجينيالوجية في الجوهر الثابت ولا في القوانين الأساسية ولا عن الغائيات (الما ورائية) بل تبيّن الانقطاعات والفواصل.

ج – لا تهتم بالتطوّر أو التقدّم، بل تبيّن التكرار، كما لا تهتم بالعمق، بل بالسطح بالتفاصيل الصغيرة بالانتقالات عديمة الشأن، فـ «إذا كان على المفسّر أنْ يتجه بنفسه إلى العمق كالنقاب أو الحفار، فإنّ حركة التفسير الجينيالوجي هي بالعكس حرّة، جزءٌ ناتىء مرتفع أكثر أكثر، يجعل العمق ينتشر فوقه بوضوحٍ متزايد»[٢٣]. والفارق الأساسيّ بين تأويل فوكو ونيتشه يكمن في أنّه في الوقت الذي يرجع فيه نيتشه التفسير إلى الإنسان وإلى الحوافز السيكولوجية فإنّ فوكو يدمجه في

استراتيجيات المعرفة والسلطة، ولا ينسبه إلى بطلٍ مُعيَّن، يقول: «إنَّ أحداً غير مسؤول عن انبثاقٍ معيَّن، لا أحد يستطيع أن يفتخر به، وهو يحدث دوماً في الفرجة»(٢٤). بمعنى أنَّ ميزان القوى هو الذي يفعل فعله داخل موقف تاريخي معيَّن، لذا من مهمّات الجينيالوجية أن تبيّن أنَّ الجسدَ غارقٌ مباشرةً في الميدان السياسي، وأنَّ علاقات السلطة تخترقه، وأنَّ المعرفة متورطة في الصراع الدنيء لعلاقات الهيمنة، وهذه هي الموضوعات المركزية التي سيقوم المنهج الأركيولوجي – الجينيالوجي للخطاب بالتناوب بتحليلها ودراستها. وهذا ما عبَّر عنه دريفوس ورابينوف بالقول: «عندما نحلّل قضايا معيّنة، فإنّنا سنركّز على المركز الذي تحتله داخل الصيغة الخطابية، وهذه هي وظيفة الأركيولوجية... وما إن ينجز عمل الأركيولوجي حتى يصير بوسع الباحث الجينيالوجي أن يتساءل عن ماهية الدور التاريخي والسياسي الذي تلعبه العلوم التي يدرسها»(٢٥). بمعنى أنَّ الجينيالوجية أضافت مسائل سلطة الخطاب ومفهوم السلطة والمعرفة والسلطة وتأويلية الذات. وإنَّ المنهجين معاً؛ أقصد التحليل الأركيولوجي والتحليل الجينيالوجي، ما أسميه بتحليل الخطاب، ولكن ما دام هدفنا يقتصر على دراسة العلاقة بين تحليل الخطاب والمقاربات الفلسفية اللغوية الأخرى فقط قصد إظهار مكانة التحليل الخطابي نرجىء الحديث عن قضايا الخطاب والسلطة ومعرفة الذات إلى دراساتٍ لاحقة.

رابعاً - في علاقات الخطاب

لا يمكن إدراك المعنى الخاص للخطاب والمنطوق من دون إجراء مقابلات، ولو مختصرة، مع الحدود أو المستويات المتنوعة، التي يتقاطع معها التحليل الخطابي وبخاصةٍ ما يشكّل حدود ما أسميناه بالاتجاهات الكبرى في فلسفة اللغة، وأعني بذلك الألسنية والتحليل المنطقي والتأويل.

١ – بين التحليل الخطابي والتحليل الألسني:

يتعارض التحليل الخطابي مع التحليل الألسني، وبخاصّةٍ في صورته البنيوية. يقول فوكو: «على خلاف ما يسمى التحليل البنيوي، أنا لا أهتم بالإمكانات الشكلية للأنساق كاللغة، ولكنّي أهتم بوجود الخطابات كأحداثٍ لها وظائف وعلاقات وآثار»(٢٦).

فالتحليل الخطابي، إذاً، يتعارض وكلّ تحليلٍ قاموسي أو دلالي، بنائي أو غير بنائي، للخطابات أو الجمل أو النصوص، إنه يهتم بالخطابات كممارسات لها قواعد ظهورها وانبثاقها، واختفائها واضمحلالها. ولكن هنالك تحليل ألسني يتقارب والتحليل الخطابي، إنّه التحليل الألسني التوزيعي، كما جسّدته أعمال المدرسة التوزيعية الأمريكية، وبخاصّةٍ أعمال «بلومفيلد 1887 - 1949 L. Bloc mfield» و«هاريس 1909 - Z. Harris» التي ترفض التحليلات القائمة على العقلية والقصدية والتقليد والتأثير والتأثّر؛ أي ترفض كل الأشكال التاريخية للوحدة والتواصل(٢٧).

على أنَّ أصالة فوكو كما يقول «دلوز 1925 - J. Delleuze» واستناداً على «ايوالد Ewald» تكمن: «في الكيفية التي حدّد بها من جانبه المتون والمجاميع: إنّه لا يحدّدها تبعاً لتواترات أو ثوابت لسانية، أو عن طريق الصفات الشخصية لأولئك الذين يتكلمون أو يكتبون [فهذه المجاميع والمتون] خطابات بلا مرجع، وأنَّ الوثائقي غالباً ما يتحاشى الاستشهاد بالأسماء اللامعة»(٢٨).

إنَّ تحليل الخطاب لا يختار الجمل أو القضايا أو المنطوقات بناءً على بنيتها اللغوية، ولا على أساس الذات المؤلِّفة لها، بل على الوظيفة التي تضطلع بها، داخل مجموعٍ ما: كنظام الحجر في مستشفيات الأمراض العقلية أو في السجون أو على كرسي الاعتراف. فهل يمكننا القول مع «محمد علي الكردي» إنَّ: (مفهوم الأركيولوجية كما بلوره ميشيل فوكو بصدد تحليله لضروب ومستوياتٍ محدّدة من الممارسات الخطابية، ما كان ليبرز إلى الوجود إلاّ من خلال المنهجية العامة للغة التي أسّستها البنيوية؟»[٢٩].

لا يمكننا إنكار الجوانب البنيوية في منهجية فوكو الأركيولوجية وبخاصّةٍ موقفه من الذات ومن التاريخ بمعناه الاتصالي، ولكن جديد فوكو يتمثّل في تفكيره مسائل اللغة والتاريخ، بصيغ الخطاب والممارسة الخطابية، وأشكال ظهور الخطابات... فالتحليل الخطابي بنظرنا محاولة لتأسيس خط ثالث في التفكير الفلسفي، بين الخطّ الشكلي والخط التأويلي، محاولةً أرست قواعد ومبادىء للتحليل، وتصوّر لموضوعات البحث ذات طبيعة تاريخية بالدرجة الأولى.

إنَّ هذا الخط يلخصه النصّ التالي: «لا ينبغي وصف مجموع المنطوقات، ككلية مغلقة ذات دلالاتٍ وافرة، بل كصورة تتخللها الفجوات ويطبعها التناثر، ينبغي وصفه لا بإحالته إلى... فكرة تجول بذهن إحدى الذوات، بل وصف تبعثره أو توزعه وانتشاره الخارجيّ... من أجل اكتشاف أشكال التراكم النوعيّة... ولا يعني الخروج بتأويل... بل إنشاء ما أدعوه وضعية «Positivité»[٣٠].

هذه الوضعية التي تعني الوقوف الحرفي عند الخطابات، أو الإنجازات اللفظية، والنظر في أشكال ظهورها وتحوّلها واختفائها، دون إرجاعها إلى ذات مؤسّسة، أو معنى باطني، أو نسقٍ منطقي، أو بنية لغوية، بل تحليلها على مستوى وجودها، وفي إطار علاقتها بالممارسات الخطابية المتنوعة وغير الخطابية. إلاّ أنَّ هنالك جوانب مشتركة بين اللغة والمنطوق تستلزم الواحدة منهما الأخرى، على الرغم من أنَّ العلاقة بينهما ليست متساوية، لا من حيث الوضع ولا من حيث الوجود، فالمنطوق ليس شرطًا لوجود اللغة ما دام يمكن استبداله بمنطوقٍ آخر. واللغة تتكوَّن من منظومةٍ أو من نسقٍ من المنطوقات الممكنة مثل ما يعرفها – دي سوسير – بوصفها نظامًا وأنَّ منهجها وصفيّ محض[٣١].

ويكمن الفرق بين تصوّر ميشيل فوكو وتصوّر دي سوسير في مفهوم النظام، فالأول يرى أنَّ النظام المنطوقي مفتوحٌ وحاملٌ لإمكان التجدّد والتحوّل، أمّا الثاني فيرى أنَّ النظام مغلقٌ، وأنَّ المنهج يقتضي وصف اللغة كما هي. وإنَّ خاصيّة النظام المفتوح أو الحامل للإمكان يرجع أساسًا إلى مفهوم اللغة ذاته عند فوكو، ذلك المفهوم الذي يتميّز بالاختراق والتجدّد والتجاوز، فاللغة في نظره: «يقطنها دوماً آخر، خارج وناءٍ وبعيد، وفي جوفها يقبع الغياب»[٣٢]. وبناءً عليه لا يمكن للغة إلاّ أن تكونَ نظامًا مفتوحًا، أمّا المنطوق فهو الحدث التاريخي، إنّه ذلك العنصر من اللغة الذي يتشكّل في صيغة وثيقة أو جملة أو قضية أو فعلٍ لساني، وإنْ كان يتميّز عنهما، كما سنبيّن لاحقًا.

إنَّ المنطوق عنصرٌ ضروريّ لتكوين الجملة، ولكن لا يمكن تعريفه من خلال الخصائص النحوية للجملة؛ لأنّه من الممكن أن نصادف منطوقاتٍ حيث يتعذّر علينا العثور على جمل، وحجّة فوكو في هذا هي الأحرف الهجائية أو الاسم أو الفعل، فكلُّ هذه المستويات

تشكّل منطوقات، ولكنها لا تشكّل جملاً في حدّ ذاتها، وإن كانت أساسية لتشكيل الجمل، وهذا يعني أنّ المنطوق يمكن أن يكون أبسط من الجملة أو يعادلها أو يساويها.

٢ - بين التحليل الخطابي والتحليل المنطقي والفعل اللساني: القضية وحدة منطقية، تتكوّن أساسًا من صورٍ وموضوعٍ ومحمول ورابطة، وهي الموضوع المركزي للمنطق، ووحدته الأولى. تخضع إمّا للتحقيق وإمّا للاستنباط. هذه القضية يربطها فوكو بالمنطوق، ويرى أنّ: «المقاييس التي تسمح بتحديد قضيةٍ ما، وبتمييز عددٍ آخر من القضايا داخل وحدة صيغةٍ ما، وإظهار استقلالها واكتمالها، لا تصلح لوصف الوحدة المتميّزة للمنطوق»(٣٣). والمثال الذي يسوقه في هذا الشأن هو: «لا واحد يعلم» و«حقيقة أنّه لا واحد يعلم». من الناحية المنطقية يعدّ المثالين قضيتين غير مختلفتين، أمّا من الناحية المنطوقية فيختلفان من حيث السياق. والقضية الآتية: «جبل الذهب يوجد في كاليفورنيا» قضية كاذبة منطقيًّا، لكنها صحيحة منطوقيًّا في نظر فوكو؛ إذ يمكن أن تكون قضية واردة في نصٍّ روائي، وتحمل دلالة أو إشارة، ضمن سياق النصّ الروائي.

وإذا كانت القضية تتصف بالتجريد، والجملة تفرض المعنى، فإنّ المنطوق يتصف بالندرة، وفوق كلّ هذا فهو: «شرطٌ سابق للجمل والقضايا، وهذه الأخيرة تفترض ضمنيًّا وجودها بوصفها هي التي تشكّل الكلمات والموضوعات»(٣٤). ولعلّ المثال النموذجي الذي يقدمه للتمييز بين الجملة والقضية والمنطوق هو المثال الآتي: «إنّ الأفكار الخضراء التي لا لون لها، تنام نومًا عميقًا». إنّ هذا المثال يعدّ جملةً لغوية، ولكنها جملةٌ فاسدة المعنى، وقضية ولكنها متناقضة ولا تقبل التحقيق، إلاّ أنها منطوق، لماذا؟ لأنّه في نظر فوكو، رفض المثال على أساس أنه ليس جملة صحيحة، أو ليس قضية صادقة، يستبعد جملة من الاحتمالات الممكنة، من مثل: أنّ المنطوق يعبّر عن أضغاث أحلامٍ أو مقطع من نصٍّ شعريّ، أو هذيان ناتج عن مؤثر مثل التخدير، أو رسالة شفرية.

هذه الاحتمالات يتضمنها فعل المنطوق، ولكنها تتنافى ومفهوم الجملة والقضية، وهذا ما يجعل من فوكو يختلف عن الألسنيين والمناطقة، ويحاول أن يؤسّس توجّهًا جديدًا في الدراسات اللغوية والفلسفية، وهذا بالاعتماد على جهازٍ مفاهيمي خاصّ، لا يمكن فهمه دون مقابلته بالتيارات الفلسفية والألسنية المعاصرة المختلفة، وبخاصّة التيار الوضعي في الفلسفة والمنطق، والتيار البنيوي في الألسنية.

ولكن على الرغم من اختلافه مع هذين التيارين، إلاّ أنّه يقترب من التيار التحليلي للغة، وبخاصّةٍ تيار مدرسة «أكسفورد» التي تهتم باللغة العادية، أعمال «سورل 1932 - Searle» و«أوستين» خاصّة، المتمحورة حول نظرية أفعال الكلام «Speech act» أو «نظرية أفعال اللسان».

لقد استعمل الفعل اللساني منذ العقد الثالث من القرن العشرين، إلاّ أنّ معناه الفلسفي من إبداع «أوستين». حيث «يعدّ فيلسوف أكسفورد جون أوستين المؤسّس لهذه النظرية. انطلاقًا من الفكرة بأنّ الوحدة الصغرى للاتصال الإنساني ليست الجملة، ولا أيّ عبارةٍ أخرى، بل هي إنجاز بعض أنماط من الأفعال... محاضرات أوستين التي جمعت تحت اسم، كيف تصنع الأشياء بالكلمات عام ١٩٦٢م، حثّت الفيلسوف الأمريكي سورل على تطوير هذه النظرية»(٣٥).

ومضمون هذه النظرية يقوم على دراسة الفعل التعبيري والفعل الغرضي والفعل التأثيري[٣٦]. حيث يكون الفعل التعبيري جملة الأفعال الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية: «إنّني أسمي فعل (قول شيءٍ ما) بالمعنى العادي التام، أداء للفعل التعبيري، وأسمي دراسة المنطوقات حتى هذه النقطة، ومن هذه الجوانب، باسم دراسة التعبيرات أو الوحدات التامّة للكلام»[٣٧]. والفعل الغرضي هو الفعل الذي يحدِّد الطريقة التي نستعمل بها التعبير، من مثل هل نسأل أم نجيب عن السؤال؟ هل نعلن عن رأي أم قصد؟ هل نضع تحديدًا أم اتهامًا أم نقدًا؟ ...إلخ[٣٨].

وأخيرًا الفعل التأثيري وهو ما يحدثه المتكلِّم من تأثيراتٍ معيّنة في مشاعر المستمع وأفكاره كنتيجةٍ لما يقول، وعلى سبيل المثال: «ربما يقنع شخصًا معيّنًا أنَّ شيئًا ما حقيقة واقعة، أو يحثّ شخصًا معيّنًا لأداء شيءٍ ما، وهكذا يفعل المرء شيئًا ما (عن طريق) القول»[٣٩]. إنَّ مضمون هذه النظرية، يشبه مفهوم فوكو للمنطوق، وبخاصّة في وحدته الأساسية الخاصّة بفعل اللسان أو الكلام. لذلك يرى فوكو أنَّ المنطوق وفعل اللسان فعلٌ واحد، مع فارقٍ بسيط، تبيّن فيما بعد عدم صوابه، وهو أنَّ مجموعة من الأفعال يمكن أن تشكِّل منطوقًا مركّبًا، وهو ما اعترض عليه «سيرل»[٤٠].

يبيّن فوكو وجه العلاقة بين المنطوق والفعل اللساني، في قوله: «يمكننا الافتراض أنَّ تمييز المنطوقات يتبع المقاييس ذاتها في رصد أفعال الكلام أو اللسان، فكلُّ فعلٍ يتحقّق داخل منطوق، وكلُّ منطوق يسكنه من الداخل فعلٌ من تلك الأفعال، فكلاهما يوجد الآخر ويوجد به، والعكس بالعكس»[٤١]. من خلال هذا النصّ، نلاحظ أنَّ فوكو يساوي بين المنطوق وفعل الكلام، وأنَّ الواحد منهما مشروطٌ بالآخر. ولكنه يستدرك فيقول إن: «هذا النوع من الاقتران، لا يثبت أمام النقد». لماذا؟ لأنَّ ذلك يعود في نظره - وكما قلنا - إلى إمكان جمع الأفعال اللسانية، مثل: القسم، والعهد، والموعظة، والعقد...إلخ. في منطوقٍ مركّب، وهو ما اعترض عليه «سيرل». ولقد وافق فوكو على هذا الاعتراض وأجاب «سيرل» في رسالةٍ أوردها «دريفوس» في كتابه (فوكو، مسيرة فلسفية) بقوله: «فيما يختص بتحليل الأفعال الخطابية، أوافق تمامًا على ملاحظاتكم. فقد أخطأت في القول إنَّ الملفوظات (المنطوقات) ليست أفعالاً خطابية، لكنّني أردت بقولي هذا أنْ أشدِّدَ على كوني أنظر إليها من زاوية مختلفة عن زاويتكم»[٤٢]. إنَّ هذه الزاوية التي يتحدّث عنها، هي الزاوية الأركيولوجية - الجينيالوجية في مقابل التحليل اللغوي الذي تقوم به «مدرسة أكسفورد» وبخاصّة أنَّ للمنطوق في نظر فوكو مهماتٍ تاريخية ومعرفية وسياسية.

ولعل النقطة التي تستحق الإشارة هنا هي مرجعية المنطوق، التي ليست بالضرورة مرجعية القضية أو الجملة، فإذا كانت مرجعية القضية هي الصدق التجريبي أو النسقي، وإذا كان صدق الجملة في دلالتها ونحوها، فإنَّ المنطوق قد تكون له هذه المرجعيات، وقد لا تكون، وهذا نظرًا لكونه نسقًا أو مجالاً للإمكانات، وهو ما يتميّز به المستوى المنطوقي لتشكيلة خطابية معيّنة مقابل المستوى النحوي للجمل، أو المستوى المنطقي للقضايا، ووصف هذا المستوى المنطوقي لا يكون بالتحقيق، وإنّما بتحليل العلاقات بين المنطوقات. وهذا يعني أنَّ علاقة القضية بالواقع أو بالنسق المنطقي، وعلاقة الجملة بالمعنى أو بالقواعد المنطقية، لا يمكن أن تكون نموذجًا لعلاقة المنطوق بما يعبِّر عنه؛ ذلك أنَّ المنطوق

يحلل في إطار نسق المنطوقات، الذي تعبّر عنه التشكيلة الخطابية.

وهكذا، فسواءٌ تعلّق الأمر باللغة أو بالقضية يختلف مفهوم فوكو للمنطوق، وإن كان ناتجًا عن هذه المناقشة ومتأثّرًا، إلى حدٍّ كبير، بالإشكاليات التي تتحكّم في هذا الميدان الفلسفي، فهل منهج تحليل الخطاب يختلف أو يتفق وتحليل اللغة منطقيًّا؟

يقول فوكو: «إذا كان السؤال الذي يطرحه تحليل اللغة بصدد الحادثة الخطابية، يتعلّق بالقواعد التي وفقها ينشأ هذا المنطوق المحدّد. هذه القواعد قد تسمح بنشأة منطوقات أخرى مماثلة، فإنّ وصف أحداث الخطاب يطرح سؤالاً مغايرًا، يتخذ الصيغة التالية، ما الذي يجعل منطوقًا ما يظهر، دون أن يظهر منطوقًا آخر بدلاً عنه»(٤٣).

إنّ هذا يعني أنّ الإشكالية التي يطرحها التحليل الخطابي تختلف عن إشكالية التحليل اللغوي، فالأولى إشكالية تاريخية واقعية، أمّا الثانية فإشكالية منطقية صورية. مرجعية الأولى تحدّدها الممارسة الخطابية وغير الخطابية، أمّا الثانية فتقوم على التطابق مع الواقع أو التناسق المنطقي. وعلى الرغم من اعتماد فوكو على المنطوق كوحدة لتحليل الخطاب، وهو ما يتماثل في خصائصه والفعل اللساني أو الخطابي عند «أوستين» أو «سيرل» إلاّ أنّ منهج تحليله لهذه الوحدة الأساسية، يختلف كليّةً عن تحليل اللغة.

يقول فوكو: «إنّ تحليل المنطوقات لا يزعم أنه وصفٌ شامل، جامع ومانع للغة أو لما قيل، بل يتخذ موقعه ومكانه داخل سمك الإنجازات اللفظية وكثافتها... فهو لا يسعى إلى أن يقوم مقام التحليل المنطقي للقضايا. خاصّة..»(٤٤)، فلا يهتم التحليل الخطابي باللغة في ذاتها، ولا بأشكال بنائها، ولا بمنطقها الداخلي، بل غايته وصف أحداث الخطاب في ماديتها ووضعيتها والتساؤل عن شروطها التاريخية ووظائفها والاستراتيجيات التي تدخل فيها وعلاقتها بالأحداث الخطابية المماثلة لها أو المغايرة لها من الأحداث غير الخطابية. لذلك نقول إنّ التحليل الخطابي تحليلٌ تاريخيّ بالدرجة الأولى على عكس التحليل اللغوي الذي هو تحليلٌ منطقيّ أساسًا.

وعليه، يتميّز التحليل الخطابي عن التحليل اللغوي والمنطقي، على الرغم من اعتماده على وحداتٍ لغوية كالمنطوق والخطاب، وعلى الرغم من استناده على الإشكالية اللغوية التي تميّز الفلسفة المعاصرة. وبهذا يعدّ التحليل الخطابي محاولة لتأسيس طريقة جديدة في التعامل مع اللغة والخطاب، تعاملاً جديدًا ومختلفًا عن التعامل المنطقي، إلاّ أنّ هذا التحليل لا يتضح دون مناقشة علاقته بمناهج التأويل.

٣ - **بين التحليل الخطابي والتأويل**: تقوم لغة الثقافة الهندو - أوربية، في نظر ميشيل فوكو، على فكرتين أساسيتين، الأولى تتمثّل في الاعتقاد بأنّ اللغة لا تقول بالضبط ما تعنيه، وأنها تتجاوز صورتها اللفظية الصرفة، والثانية تفيد أنّ هنالك أشياء أخرى في العالم تتكلّم دون أن تكون لها لغة. وهاتان الفكرتان لا تزالان تمارسان تأثيرهما في النظم التأويلية المختلفة التي عرفها الفكر الغربي(٤٥). ولهذا الأثر نتيجتان أساسيتان، الأولى لا وجود لعنصر أولي منه يبدأ التأويل؛ لأنّ كل العناصر في الحقيقة تأويل، وكلّ علامة تأويل لعلاماتٍ أخرى، والثانية هي لا تناهي التأويل. من هنا يرى أنّ التأويل أسلوبٌ من أساليب الكلام بمناسبة النقص ورغمًا عنه، على عكس التحليل الخطابي الذي لا يبحث لا في باطن الخطاب ولا خلف اللغة، وإنّما يتوقّف على حرفية

منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة

النصوص؛ لأنّه يهدف إلى سنّ قانون ندرة المنطوقات وتراكمها وخارجيتها.

وإذا كان التأويل يجعل من الخطاب ثروة لا متناهية وكنزًا لا يفنى وفيضًا من المعاني والدلالات مع إحالة إلى ذات مؤسسة ومبدعة تحاول الكشف عن أسرار الخطاب وإظهار ما هو خفيّ وما وراء الألفاظ، فإنّ التحليل الخطابي يصف الأشياء التي قيلت، ويحاول الكشف عن كيفية ظهورها أو تجلّيها، وهذا يعني أنّه تحليلٌ تاريخي، على الرغم من أنّ ميشيل فوكو سيعدّل بعض الشيء من هذه الفكرة وذلك تحت تأثير «نيتشه» والمشكلات المعرفية المختلفة التي طرحها تحليل الخطاب، وبخاصّةٍ مسألة المعنى والسلطة التي عجز التحليل الخطابي في شكله الوصفيّ عن الإجابة عنها كما بيّنا ذلك سابقًا(٤٦).

يقول ميشيل فوكو: «إنّ التأويل أسلوبٌ من أساليب الكلام بمناسبة النقص ورغمًا عنه. أمّا تحليل التشكيلات الخطابية فيعني البحث عن قانون ذلك النقص، قياس صورته النوعية وتحديدها»(٤٧). لا يهتم التحليل الخطابي إذًا بالمعنى ولا يبحث في باطن الخطاب ولا خلف اللغة، إنّه يتوقف عند حرفية الخطاب، عكس التأويل الذي يبحث في باطن الخطاب، مسائلا المعنى والمضمون، والفكرة المستترة وراء اللفظ.

يسعى التحليل الخطابي إلى سنّ قانون ندرة المنطوقات وتراكمها وخارجيتها، أمّا التأويل فيجعل من الخطاب ثروة لا متناهية، وكنزًا لا يفنى، وفيضًا من المعاني والدلالات، وإحالة إلى ذات مؤسسة ومبدعة تحاول الكشف عن أسرار الخطاب، وإظهار ما هو خفيّ، وما وراء الألفاظ، في حين أنّ التحليل الخطابي يصف الأشياء التي قيلت من حيث هي كذلك، وكيفية ظهورها أو تجلّيها، وهذا يعني أنه تحليلٌ تاريخيّ، يهتم باللغة الفعليّة الجليّة والواضحة للعيان.

ولعلّ «جيل دلوز» قد توقّف عند خصوصية التحليل الخطابي مقابلةً بالتحليل المنطقي والتأويلي، عندما قال: «تتعارض الأركيولوجية وتقنيتين أساسيتين، تستخدمان حتى الآن من طرف «الوثائقيين»: التشكيل والتأويل. وغالبًا ما ينتقل الوثائقيون من هذه التقنية إلى تلك أو العكس، أو يعتمدونهما معًا في الوقت ذاته... أمّا فوكو فيحمل لواء مشروع مخالف أتمّ الاختلاف: الاكتفاء بكتابة ما قيل، والوقوف عندها كوضعية للقول أو للمنطوق»(٤٨).

وعلى هذا الأساس نستطيع القول إنّ فوكو مع أركيولوجيا المعرفة يقطع مع منهج التحليل المنطقي ومنهج التأويل، على الرغم من محاولته تفكير التأويل بشكلٍ مغاير، هذا التفكير الذي سيتأكّد بما يسمّى بـ «إخفاق الأركيولوجيا المنهجي» كما يقول «دريفوس»، والذي فرض على فوكو العودة من جديد إلى «نيتشه Neitzsche» وإلى «فرويد Freud» و«ماركس Marx».

لقد كان السؤال المركزي، الذي انطلق منه «نيتشه» هو: تحت أيّ ظروف أو شروط يخلق الإنسان أحكامه القيميّة المتعلقة بالخير والشرّ، وما قيمة هذه الأحكام؟ أو كما يقول: «في أيّ شروطٍ عمد الإنسان إلى اختراع مقياسي الخير والشرّ هذين بغية استعمالهما في حياته. وما قيمة هذين المقياسين بحدّ ذاتهما؟ هل أدّيا حتى الآن إلى عرقلة تطوّر البشرية أم إلى تعزيز هذا التطوّر؟ هل هما عارض من عوارض البؤس والفقر الروحي والانحطاط؟ أم أنّهما ينمّان، بالعكس عن الغبطة والقوة والعزم على العيش والشجاعة والثقة بالمستقبل وبالحياة؟»(٤٩).

إنَّ الإجابة عن هذه الإشكالية، كانت تتطلّب – في نظر نيتشه – البحث التاريخي بالمعنى الجينيالوجي؛ أي تفكيك ما كان يسميه بالنصّ الهيروغليفي، هذا التحليل التاريخي، الذي كان موضوع مناقشة فوكو، في ثلاث مناسباتٍ أساسية، كتب لها نصوصًا أساسية وهي: (نيتشه، فرويد، ماركس)، الذي صدر سنة ١٩٦٧م، والخاصّ بالتأويل، والنصّ الثاني نشره سنة ١٩٧١م، بعنوان: (نيتشه، الجينيالوجيا والتاريخ)، وفي السنة نفسها، وبمناسبة اعتلائه كرسي «الأنساق الفكرية» بـ «الكوليج دي فرانس»، ناقش نصوص «نيتشه» واقترح التكامل بين الجينيالوجيا والأركيولوجيا.

لسنا في حاجة إلى تأكيد علاقة فوكو بـ «نيتشه» وتوضيحها ما دام لا يخفي هذه العلاقة ولا ينكرها، بل يصرّح بأنَّ علاقته بـ «نيتشه» تعود إلى سنة ١٩٥٣م، وأنّه «نيتشوي»، كما أنَّ العديد من الباحثين قد توقفوا عند هذه العلاقة، وبخاصّةٍ «رونو وفري Renault-Ferry» في كتابهما: (فكر ٦٨)(٥٠). وبالاستناد إلى ما قلناه سابقًا في الملامح الخاصّة بالمنهجية الأركيولوجية والجينيالوجية، نستطيع القول فيما يتعلّق بالتأويل: إنَّ دور الجينيالوجية يكمن فيما تضيفه من مسائل المعنى بالاستناد إلى مفهوم القوة، فلقد: «كانت الجينيالوجية النيتشوية إعادة بحث عمّا يشكّل المعنى ويبني القيمة في كلّ شيءٍ وكلّ علاقة. فكشف القوة بوصفها الحامل الحقيقي للمعنى»(٥١).

وكان مفهوم فوكو للسلطة يعكس هذا المعنى؛ إذ هي مجموع علاقات قوة في وضع استراتيجي معيَّن. كما أضافت الجينيالوجيا للأركيولوجيا مفهومًا للتاريخ لا يقوم على الوصف المحض للخطابات، ولكن على إدراك وظائفها وأهدافها ومعانيها، فالجينيالوجيا لا: «تريد القبض على الأفكار مجسدة، بل تريد رسم ---> تصوير الأفكار وهي تشتغل، وشغلها المتواضع ليس هو ترميز ما يخفى وراءها، أو يعلو فوقها، ولكنه هو ---> حيزها بالذات»(٥٢).

وعليه، إنّ علاقة الأركيولوجيا بالجينيالوجيا، وإن بدت تكاملية، فإنّ الجينيالوجيا ما فتئت تبتعد عن الأركيولوجيا، وتناقش موضوعات السلطة والذات في المجتمع الحديث، وتقيم ما يسميه فوكو لاحقًا بتاريخ الحاضر. وعلى الرغم من أنَّ فوكو يعلن أنَّ مشاريعه المستقبلية ستتقاسمها المنهجية الأركيولوجية والجينيالوجية، إلاّ أنَّ المتفحِّص يستنتج أن الأركيولوجيا تنتمي أكثر إلى مرحلة الممارسات الخطابية، مرحلة الجنون والعقل والطب واللغة، أكثر من انتمائها إلى مرحلة الممارسات غير الخطابية الخاصّة بالسلطة والجسد، والتي ستعالجها الجينيالوجيا.

وفي هذا السياق، يشكّل **نظام الخطاب**، نقطة تحوّل كبير في فلسفة فوكو، سواء من حيث المنهج، أو من حيث الموضوعات، أو من حيث تصوّر الخطاب ذاته، وإنَّ التوقّف عند هذا التحوّل يتطلب دراسة مستقلة حول علاقات الخطاب بالسلطة والمعرفة والذات.

وعليه يمكننا القول، كخلاصة عامة لموقف فوكو من التحليل الخطابي ومنزلته في فلسفة اللغة، إنّه إذا كُنّا لا ننكر الجوانب الألسنية في مفهوم الخطاب عند فوكو، وبخاصةٍ الألسنية البنيوية وموقفها من الذات والتاريخ في شكله الاتصالي، وإذا كنّا لا ننكر أهمية اللغة والتحليل اللغوي في المدرسة الأنجلوسكسونية وبخاصة على مستوى الإشكاليات وأثر ذلك في مفهوم الخطاب ووحدته الأساسية، وإذا كنّا لا ننكر أهمية التأويل ودوره في تعديل كثيرٍ من مسائل

منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة

تحليل الخطاب، إلاّ أنّنا نعتقد أنّ محاولة ميشيل فوكو كانت تحاور كبرى التيارات اللغوية والفلسفية الغربية، من خلال قضاياها وإشكالياتها بهدف تأسيس طريقة جديدة لتفكير مسائل اللغة والخطاب والتاريخ، هذه الطريقة التي يمكن تلخيصها في النظر إلى الخطاب على أساس المنطوقات التي يتكوّن منها، والموزّعة على التشكيلات الخطابية المختلفة في حقبة تاريخية معيّنة ومساءلة أشكال ظهورها وتحوّلها ووظائفها واستراتيجيتها وتحوّلها أو اختفائها دونما إرجاعها إلى ذات مؤسّسة أو إلى معنى باطني أو نسق منطقي أو بنية لغوية، بل الاقتصار على وصفها وكيفية ظهورها في التاريخ. ●

●●●

الحواشي

١ – من الصعب تحديد مجال فلسفة اللغة وموضوعه ومنهجه، إلاّ أنّه يمكن القول إنّ هنالك رأياً يعتقد أنّ فلسفة اللغة هي الآراء الفلسفية المختلفة التي قيلت حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع، والتي نقرؤها في نصوص أفلاطون وأرسطو والفارابي وديكارت ولوك ونيتشه وفيدجنشتين وغدمار ودريدا وفوكو وأوستين وكواين..إلخ أو بتعبير آخر آراء الفلاسفة المختلفة في اللغة. وواضح أنّ هذا الرأي يجعل من فلسفة اللغة جزءاً من الفلسفة العامّة للفيلسوف، ولا يعطيها المكانة الخاصة التي أصبحت تتمتّع بها في الدراسات الفلسفية المعاصرة. وهنالك من يقصرها على التيار التحليلي ابتداءً من جورج مور وراسل وفيدجنشتين خاصّة ثمّ على التيارين الوضعي المنطقي تمثله أعمال كارناب وتيار مدرسة اكسفورد تمثله أعمال أوستن وسيرل، وهنالك من يحدّدها في التيار التأويلي ابتداءً من مؤسّس الظواهرية هوسرل مروراً بهيدجر وميرلوبنتي وغدمار وبول ريكور وخلفيته التاريخية عند شلايرماخر وفقهاء اللغة. وهنالك رأيٌ رابع يختصر فلسفة اللغة في أعمال الألسنيين ابتداءً من دي سوسير وانتهاءً بشومسكي مروراً بنفينست والمدرسة التوزيعية الأمريكية مع التركيز على مناهج الألسنية ومفاهيمها. إلاّ أنّنا نعتقد أنّ الموضوعية تفرض علينا النظر إلى فلسفة اللغة انطلاقاً من النقلة النوعية التي عرفتها مسائل اللغة نتيجةً للتطورات الحاصلة في ميدان المنطق الرياضي والألسنية والتأويل أو فلسفة التأويل، وهو الذي أدّى إلى بروز رأي يدافع عن فكرة أنّ فلسفة اللغة فرعٌ فلسفيٌ، مثله مثل بقية الفروع الفلسفية الأخرى كفلسفة التاريخ وفلسفة العلوم وغيرهما.. أي إنّ فلسفة اللغة مبحث مستقلّ له موضوعٌ خاصٌ به هو اللغة منظوراً إليها من الزاوية الفلسفية وله مناهج قائمة بذاتها وتاريخ خاصّ ونظريات أساسية، مثل النظريات المنطقية والألسنية والتأويلية، مع ضرورة الإشارة إلى المكانة الخاصة للتأويل والتحفّظات القائمة بينه وبين التحليل المنطقي الذي يدافع عن خصوصية العلاقة بين المنطق واللغة. وللمزيد من المعلومات حول هذه المسائل يمكن الاطلاع على الكتب الآتية:

- La Philosophie du langage: 1997.
- La Philosophie du langage au 20e siécle: 1997.
- La Philosophie du langage: 1996.

يمكن إضافة فكرة أساسية هي أنّ هنالك علوماً لسانية كعلم العلامة وعلم الدلالة، وعلوماً إنسانية تهتم باللغة منها علم النفس اللغوي وعلم الاجتماع اللغوي والانتربولوجية اللغوية، تساهم في بلورة مقاربات جديدة للغة.

2- Dictionnaire de linguistiques: 32 - 33.

٣ – هناك دراسات كثيرة حول علاقة البنيويين بالدراسات الألسنية، ولعل أفضل وسيلة لمعرفة هذه العلاقة الاطلاع مباشرةً على أعمال كلود ليفي ستروس وبخاصّة (البنى الأساسية للقرابة) و(الانتروبولوجية البنيوية) وأعمال رولان بارت بخاصّة (درجة الصفر في الكتابة) و(النقد والحقيقة) وكذلك أعمال جاك لكان وبخاصّة (كتابات).

4- L'archéologie du savoir: 41.

ترجم هذا الكتاب إلى العربية سالم يفوت، بعنوان: حفريات المعرفة.

٥ – للاطلاع على رأي الفيلسوف حول علاقة الخطاب بالتاريخ يمكن العودة بشكل خاصّ إلى بحثه المنشور في مجلة «Esprit» العدد ٣٧١ سنة ١٩٦٨ بعنوان «Réponse à une question» بخاصّة الصفحات ٨٦٠ – ٨٦٢.

٦ L'archéologie du savoir: 167 - 168.

٧ – دروسٌ في الألسنية العامة: ٤٣.

٨ L'archéologie du savoir:. 146 -

٩ Le livre des autres: 117 -

١٠ L'archéologie du savoir: 110. -

١١ – ذكر هذا الحوار «دريفوس» و«رابينوف» في كتابهما: (ميشيل فوكو مسيرة فلسفية): ٤٥.

١٢ L'archéologie du savoir: 140. -

١٣ L'archéologie du savoir: 103. -

١٤ L'archéologie du savoir: 67. -

١٥ - Ibid, p. 89. -

١٦ Magazine Littéraire: 771. -

١٧ - L'archéologie du savoir: 173.

١٨ - Réponse Au cercle d'Epistémologie: 819 - 859 - 860.

١٩ - L'archéologie du savoir: 162.

٢٠ - L'Ordre du Discours: 71.

٢١ - Michel Foucault: 72.

٢٢ - Nietzsche, la Généalogie, L'Histoire: 138.

٢٣ - Nietzsche, Freud, Marx, in, Dits et ecrits: 565.

٢٤ - Ibid: 566.

٢٥ - ميشال فوكو: مسيرة فلسفية: ١٠٨.

٢٦ - Le Livre des Autres: 117.

٢٧ - Histoire du structuralisme: 304.

٢٨ - Gille deleuze: 23.

٢٩ - نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو: ١٤٧.

٣٠ - L'archéologie du savoir: 119.

٣١ - دروس في الألسنية العامة: ٤٣.

٣٢ - L'archéologie du savoir: 146.

٣٣ - Ibid, p. 79.

٣٤ - Gille Deleuze, Op-cit, p. 22.

٣٥ - نظرية الأفعال الكلامية في الموسوعة الفلسفية العربية: ١٣٣٠.

٣٦ - التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ١٨٤.

٣٧ - المرجع السابق نفسه: ١٨٣.

٣٨ - المرجع نفسه: ١٨٥.

٣٩ - المرجع نفسه: ١٩٤.

٤٠ - المرجع نفسه: ٢٠٣.

٤١ - مسيرة فلسفية: ٤٥.

٤٢ - L'Archéologie du Savoir: 81.

٤٣ - ميشال فوكو، مسيرة فلسفية: ٤٥.

٤٤ - المصدر السابق: ٢٧.

٤٥ - حول علاقة ميشيل فوكو بالتأويل، يمكن العودة إلى كتابه (الكلمات والأشياء) القسم الثاني وبخاصةٍ ما تعلّق بوضعية اللغة في العصر الحديث، وكذلك محاضرته التي ألقاها سنة ١٩٦٧ في الجمعية الفلسفية الفرنسية حول: «نيتشه فرويد ماركس» وكذلك بحثه: نيتشه الجينيالوجيا والتاريخ.

٤٦ - تعدّ كتبه التي نشرها في السبعينات دليلاً على التحوّل الذي طرأ على منهج تحليله للخطاب، وبخاصةٍ من حيث علاقة الخطاب بالسلطة والذات، ونظراً لحجم المسائل المطروحة وطبيعتها المعقدة، آثرنا عدم مناقشتها في هذه الدراسة التي خصّصناها لمنزلة الخطاب في فلسفة اللغة بشكل عام، وعلى القارىء الذي يريد الاطلاع على آراء الفيلسوف حول تلك المسائل أن يعود إلى كتبه وبخاصّةٍ «نظام الخطاب» و«إرادة المعرفة» و«الاهتمام بالذات».

٤٧ - L'Archéologie du Savoir: 115.

٤٨ - Gille Deleuze, Op-cit, pp. 21 - 22.

٤٩ - أصل الأخلاق وفصلها: ١١.

٥٠ - Michel Foucault, p. 72.

وكذلك:

La Pensée 68, Essai sur l'Anti-Hummanisme Contemporain: p. 105.

٥١ - نقد العقل الغربي: الحداثة ما بعد الحداثة: ١٤٢.

٥٢ - المرجع نفسه: ١٤٢.

المصادر والمراجع

- **أصل الأخلاق وفصلها**، لفريدريك نيتشه، تعريب حسن قبيسي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
- **التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد**، لصلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.
- **حفريات المعرفة**، لميشيل فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م.
- **دروس في الألسنية العامة**، لفرديناندي سوسير، ترجمة محمد القرمادي وزملائه، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م.
- **ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية**، لدريفوس، ورابينوف، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي.
- **نظرية الأفعال الكلامية**، لعادل فاخوري، الموسوعة الفلسفية العربية، ط١، معهد الإنماء القومي، ١٩٨٦م.
- **نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو**، لمحمد علي الكردي، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
- **نقد العقل الغربي: الحداثة بعد الحداثة**، لمطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، د.ت.

- L'Archéologie du savoir, Michel Foucault, op-cit.
- Histoire du structuralisme, ed, La découverte, tome I, 1991.
- Le Livre des Autres, Rymond Bellourd, Op-cit.
- Magazine Littéraire, Avril - Mai, 1969, No. 28, in, Dits et écrits 1954 - 1988, Tome I, ed, Gallimard, 1994.
- Michel Foucault, (1926 - 1984), ed, Flamarion, 1991.
- L-Ordre du Discours, ed, Gallimard, 1994.
- La Pensée 68, Essai sur l'Anti - Hummanisme Contemporain, ed. Gallimard, 1985.
- Nietzsche, Freud, Marx, in, Dits et écrits, Michel Foucault, tome I, ed. Gallimard, 1994.
- Nietzsche, La Généalogie, L'Histoire, in Dits et écrits, Michel Foucault, tome I, ed. Gallimard, 1994.